سكانها ما يتضاءل دونه الشعر الماضي ، فأنشدوا فى مديحها كذلك وهم يمزجون الحنين بالألم وهول الفاجعة . ونحسب أن هذا الشعر الوطنى الذى يتغنى به أهل المشرق والمغرب جديد فى نظمه وخياله وتعبيره . قد أخذ عن الشعر الغربى شعور أهل الغرب بحب الوطن . حتى لكأنه يقف له أو يقلده أ يترجمه .

* * *

٢ — البلدان :

تعلّق الشعراء منذ القديم بحواضر معينة فامتدحوها بشعرهم ، وكان من ذلك ديوان ضخم . تسيل فيه عواطف الحب والإعجاب والحنين ، ويطفح بوصف الأنهار والمربى والجوامع والساحات والأبنية والأماكن فيها . فمالوا إلى مكة والمدينة . وقالوا فيهما شعراً كثيراً هو أقرب الأشياء إلى الشعر الدينى لما يظهر فيه من حب للكعبة وتقديس لروضة الرسول ، وذكرى ولادة المجد وانبعاث النور .

وقالوا فى بغداد كثيراً ، لأنها ظلت موطن الملك ومحط الأنظار ومصنع التاريخ الإسلامى خلال قرون عدة . فقال شاعرهم ابن زريق :

هيهات بغدادٌ الدنيا بأجمعها عندى وسكان بغداد هم الناس

وقال فيها شاعر مفلس يصفها فى غرابة :

سقى الله بغداد من بلدة حوت كلّ ما لذ للأنفس
ولكنها منيـــة الموسرين كما أنها حسرة المفلس !

وقال فيها شاعر آخر يفضلها على الشام من قصيدة :

تنامُ بها عين الغريب ولا ترى غريباً بأرض الشام يطمع فى الغمْض

ولن نستنفد هنا أجمل ما قيل فيها . فكله جميل تجده فى تاريخها وفى الكتب